تحليل نص الأمير عبد القادر بآليات الأسلوبية البنيوية:

-الحذف:

مما لا ريب فيه أن دلالة الجملة في اللغة العربية تقوم على المسند والمسند إليه، ففي الجملة الاسمية المبتدأ مسند إليه، والخبر مسند، وفي الجملة الفعلية الفعل مسند،والفاعل أو نائبه مسند إليه، وكل ركن من هذين الركنين أساس لا تقوم دلالة الجملة إلا عليه وبه، وتجاوز هذه المعايير هو عدول عن الأصل، ويعد الحذف من أبرز صور هذا التجاوز،لأنه عبارة عن إسقاط أحد عناصر البناء اللغوي، قد يكون مسندا أو مسندا إليه "ويؤدي [هذا الإسقاط] إلى عدول النسق التعبيري عن الاستعمال المألوف، بحيث إذا تعاملنا مع العبارة التي تشمل على جزء محذوف نرى هناك خللا واضحا خلافا لما هو معهود يحكم به العقل أو السياق أو مقتضيات اللغة، ولا يمكن تجاوزه إلا باستكمال العنصر المحذوف(...)ومن ثم لا بد من البحث فيما وراء ظاهر الصياغة، والوصول إلى صورتها المثالية أو بنيتها العميقة التي تحمل أصل المعنى، وللقيام بهذه التحولات لا بد من تقدير عناصر محذوفة غائبة عن ظاهر الصياغة"[1].

ويعد الحذف بمثابة فرصة يتركها المؤلف للقارئ ليساهم معه في عملية التأليف فيشاركه خياله وفنيته وإحساسه، وهو بهذا الدور يجد المتعة المبتغاة منه.

ومما يقع فيه الحذف على السلسلة الخطية للجملة حذف المسند إليه فيعدل التركيب عن المألوف لأن الأصل في المسند إليه أن يذكر في الكلام "بل هو الركن الأعظم لأنه عبارة عن الذات"[2] ولا ينبغي

---

[1] -محمود صلاح زكي أبو حميدة: البلاغة والأسلوبية، جامعة الأزهر، القاهرة، دط، 2007م، ص117.

[2] - عبد العزيز عتيق: علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط ،دت، ص122.

العدول عنه "إلا إذا كان هناك قرينة في الكلام ترجح الحذف والاحتراز عن العبث"[3].

ويقع حذف المسند إليه في تركيب الجملتين الاسمية والفعلية مخلفا آثارا جمالية يحسن تذوقها، فمكمن الجمال في حذف المسند إليه في الجملة الاسمية "هو أننا حين نحذف المبتدأ من العبارة إنما ندعي أن ذلك المبتدأ حي في ذهن المخاطب، ومعلوم، ولسنا بحاجة إلى أن نورده مرة أخرى"[4].

وقد عمد الأمير عبد القادر إلى هذا الضرب من الحذف في ديوانه بكثرة، وشمل كل أنماط الرؤية، وقد تكون الغاية الجمالية من إسقاطه إما لعدم تكراره فهو معلوم في ذهن القارئ، وإما لغايات أخرى يحددها السياق، ومن أمثلته في الديوان نورد هذه الأبيات تمثيلا لا حصرا[5]:

يَثِقْنَ النّسَا بِي،حَيْثُمَا كنْتُ حَاضِرًا وَلَا تَثِقْنَ،فِي زَوْجِهَا،ذَات خلْخَـــالِ

أَمِيـرٌ، إِذَا مَـا كَـانَ جَيْشِي مُقْبِـلا وَمَوْقِدُ نَارُ الحَرْبِ إِذْ لَمْ يَكُن صَالِي.

ويقول الأمير في سياق آخر[6]:

وَإِنّي- وَحَقّ الله – دَائِـم لَـوْعَـة وَنَارُ الجَوَى،بَيْنَ الجَوَانِحِ فِي وَقْدِ

غَرِيقٌ،أَسِيرُ السّقْمِ،مَكْلُومُ الحَشَـا حَرِيقٌ بِنَارِ الهَجْرِ،وَالوَجْدِ وَالصّدّ

---

[3] - المرجع نفسه: ص132.

[4] -أحمد درويش: دراسة الأسلوب بين المعاصر والتراث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1998م، ص172.

[5] - الديوان: ص41.

[6] -المصدر نفسه:ص77.

غَرِيقٌ،حَرِيقٌ.هَل سَمِعْتُم بِمِثْل ذَا فَفِي القَلْبِ نَارٌ،وَالمِيَاهُ عَلَى الخَـدّ.

ويقول في موقف آخر[7]:

صَفُوحٌ يَغُضّ الطّرْفَ عَنْ كُلّ زَلّــةٍ لِهَيْبَتِه ، ذَلّ الغَضَنْفَرُ[8]، وَالنّـمِرُ

هَشُوشٌ،بَشُوشٌ يَلْقَى بِالرّحْبِ،قَاصداً وَعَنْ مِثْل حَبّ المُزْنِ[9] تَلقَاهُ يَفْتَرُ

ذَلِيــلٌ لِأَهْلِ الـفَقْرِ[10]، لَا عَن مَهَــانَةٍ عَزِيزٌ ، وَلَا تَيْهٌ لَدَيْهِ ، وَلاَ كِبْرُ

وَمَا زَهْرَةُ الدّنْيا ، بِشَيءٍ لَه يـُرَى وَلَيسَ لَهَا- يَوْمًا- بِمَجْلِسِهِ نشر

حَرِيصٌ عَلَى هَدْيِ الخَلَائِقِ. جَاهِدٌ رَحِيمٌ بِهِم. بَرّ، خَبِيرٌ، لَهُ القَدرُ.

هذه نماذج من حذف المسند إليه في الجملة الاسمية، ففي السياق الأول الذي حذف فيه المبتدأ هو سياق البطولة، والبطولة تقتضي التميز والتفرد والريادة، لذلك السياق ليس بحاجة إلى ذكر المبتدأ بقدر ما هو بحاجة إلى الإخبار عن البطل وميزته البطولية، وليس أدل على ذلك من الخبر (أمير)، فحذف المبتدأ (أنا) لم يحجب البطولة عن الشاعر، ولم يحدث أي لبس في نسب البطولة إليه، فكلمة (أمير) في هذا السياق صرفت الأذهان عن الناس جميعا إلا عن الشاعر.

وسياق النص الثاني عاطفي وجداني يتمثل في الإخبار عن حالة الشاعر المأساوية، وآثار الهجر والبعد، وتباريح الهوى، أليس من

---

[7] -المصدر نفسه:ص ص 202، 203.

[8] - الغضنفر:الأسد

[9] - حب المزن:ماء المطر.وقد يكون حب البرد، ويقصد به أسنانه البيضاء.

[10] - أهل الفقر:هم فقراء الصوفية

المفسد للسياق ذكر المبتدأ؟ فتقول (أنا غريق، أنا أسير السقم، أنا مكلوم الحشا، أنا حريق) لأن السياق كله مرصود لهذا المبتدأ، فما الغاية من ذكره وهو حي في ذهن القارئ؟ولو ذكر الشاعر المبتدأ لتعثر كثيرا، والسياق سياق شكوى، يتطلب التخلص من هذه المعاناة في أقرب وقت.

أما سياق النص الثالث فهو سياق صوفي، محمل بحب صوفي جارف، يتطلب السياق بإلحاح التصريح به، فعمد الشاعر إلى حذف المبتدأ (الشيخ محمد الفاسي) لأنه حاضر في ذهنه ووجدانه وليس بحاجة إلى ذكره، لأنه لو ذكر لأبعد بضمير الغائب (هو)، والأمير في وضع يستدعي القرب، بل شدة القرب، وليس أدل على هذه الرغبة من حذف المبتدأ (هو)، والتلهف للإخبار عنه بهذه الأسماء (صفوح، هشوش، بشوش، ذليل لأهل الفقر، عزيز، حريص، جاهد، رحيم، بر، خبير) وقد أحدث هذا الحذف بمسلكه الدقيق ومأخذه اللطيف فسحة لمشاركة المتلقي تفكير الشاعر وإحساسه، وكأن الشاعر بهذا الحذف يوحي إلى المتلقي أنه على علم بحضوره معه، ويتلهف لسماعه، فالسياق إذن بحاجة إلى التعريف بشيخه والإخبار عن شمائله.

وكما يحذف المسند إليه في الجملة الاسمية ويفعل فعلته في السياق، ويجعل القارئ يطارد المعنى الجمالي لبنية الجملة، فكذلك يحذف المسند أيضا، ويحدث بإسقاطه انزياحا، ويؤدي بذلك دورا أبلغ مما يؤديه لو كان ذكر، فبغيابه لفظا، يتقوى حضوره سياقا، ولا يتأتى هذا الدور الجمالي لحذف المسند "إلا إذا كان في الكلام ما يدل على المحذوف، وإلا كان تعمية وألغازا"[11]، ولدوره الجمالي وظفه الأمير في مواطن عديدة من ديوانه منها قوله[12]:

---

[11] -أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، دار القلم، بيروت، لبنان، دط، دت ،ص 82.

[12] -عبد القادر الجزائري: الديوان، تحقيق:العربي دحو، دار ثالة ،الجزائر،ط 3، 2007م، ص125.

أَمَطْنَا الحِجَابَ فَانْمَحَى غَيْهَبُ السِّوَا وَزَالَ أَنَـا وَأَنْتَ وَهُو فَلَا لُـبْسُ

وَمَـــا هُوَ إلّا أَن تَصِـير إلَى الفَنَـــا وَتُصْعَقُ لَيْسَ ثَـــــمّ رُوحٌ وَلَا حِسّ.

وقوله أيضا[13]:

لاَ كَسْبَ لِي،بَل،وَلاَ شُغْلٌ وَلَا عَمَلٌ فَفِي حَدِيثِهِم ،تِجْرٌ،وَأَرْبَاحُ

مَـــــا جَنّة الخلدِ إلّا فِي مَجَـــالِسِهِم فِيـــــهَا ثِمَارٌ،وَأَطْيَارٌ،وَأَرْوَاحُ.

كم يتشوق الصوفي إلى الفنا، وكم يسعد به إذا حصل، وكذلك حال الأمير في النص الأول عندما زال الحجاب بينه وبين معشوقه، وزالت بذلك كل الحواجز، ولم يجد الأمير وسيلة للإخبار عن نشوته إلا إيجاز حذف الخبر، الذي لا طاقة له في هذا الموقف أن يعبر عنه، لأنه لو ذكر لحد من سعادة المبتدأ التي لا تقاس، ولا تقدر فهي أكبر من أن تحتويها الكلمات، وكل قول أقل تعبيرا مما يريد الشاعر إيصاله للمتلقي، والسر في جمال هذا الخروج عن القاعدة أن الأمير نقلك إلى حاله فعلا فهو لا بد حاول الإخبار ولم يستطع، فإنك أيها المتلقي حاول إن استطعت، فتعرف بذلك حال مخاطبك من غير إخبار.

وقد يحذف المسند والمسند إليه من الجملة الاسمية محدثا بذلك انزياحا يفهم من السياق كما في قول الأمير[14]:

قَالَ العَوَاذِلُ:فِيكَ السّحْرُ.قلت لَهُم: نَعم !وَلِي صِحّةٌ فِيهِ وَإِصْلاَحُ

---

[13] -الديوان : (تحقيق :ممدوح حقي)،ص219.

[14] -المصدر نفسه: ص119.

لاَ زَالَ يَرْبُو مَعَ الآنَاتِ [15]، بِي أَبَداً فَلِي بِه،بَينَ أَهلِ الحُبّ أَمْدَاحُ.

فالمراد (نعم،السحر فيّ)،ولو أجاب الأمير بهذا لأقر معنى سحرهم، لكنه بالحذف أعطى معنى آخر للسحر، فسحرهم مرض وسحره دواء، فحذف عبارة (السحر فيّ) أحال المعنى من منبوذ إلى معنى محبذ، والمعنى صوفي إذ المقصود بالسحر الذي أقره الأمير هو تغير أحوال الصوفي من السيء إلى الحسن كلما ارتقى في المقامات، وهذا السحر ذوقه معنوي لا يعرفه إلا المتصوفة، فسحر كهذا لا يحتاج أن يذكر حتى يعرف، فمعرفته لا تستوجب الذكر اللفظي له، فالذكر للإخبار والتعريف، وهو معروف عند المتصوفة بدون ذكر، ومجهول عند غيرهم ولو ذكر.

والحذف كما يمس بنية الجملة الاسمية، يقع أيضا في بنية الجملة الفعلية محدثا بذلك انزياحا عن القاعدة الأصلية لها، التي تكون عادية عندما تتركب من (فعل+فاعل أو نائبه+مفعول به) وتكسير هذا التركيب بالخروج عنه هو عدول عن الأصل، ومن أنماط هذا الحذف في الجملة الفعلية، حذف الفعل والاكتفاء بالمفعول المطلق ومثاله في الديوان قول الأمير[16]:

إِذَا مَا اشْتَكَت خَيلِي الجِرَاحَ تَحَمْحُمًا أَقُول لَهَا:صَبرًا كَصَبرِي وَإِجمَالِي.

ففي الشطر الثاني من البيت حذف المسند والمسند إليه، والتقدير:

إِذَا مَا اشْتَكَت خَيلِي الجِرَاحَ تَحَمْحُمًا أَقُول لَهَا:(اِصْبِرِي) صَبْرًا كَصَبْرِي وَإِجْمَالِي.

لقد أحدث الفراغ الذي تركه الفعل وفاعله (اصبري) انزياحا بعدم ذكرهما، وملأ هذا الفراغ المفعول المطلق (صبرا) الذي أعطى شحنة سياقية للنص من غير ذكر فعله وفاعله، وكان حذفهما أبلغ

---

[15] -آنات :أزمان . وهي الأيام والليالي على التوالي.

[16] -الديوان: ص42.

للسياق من ذكرهما، فالموقف موقف بطولة وفخر عريض بالذات وما تملكه، ولو ذكر الفعل لكان أمرا (اصبري) فيتعارض مع سياق الفخر، ولا يؤدي الغرض المطلوب، فيأتي هذا الحذف ليجعل الفعل والفاعل مسلّمة معروفة من غير ذكر.

وقد يحذف الأمير الفعل والفاعل أو نائبه والمفعول به معا كما في قوله[17]:

فَمَنّوا بَلُقيَاكم ،وَإلّا فَلاَ بَقَا وَرِيحُ الفَنَا تُسْفي عَليْنَا إذَا سَفَا.

وقوله أيضا[18]:

أُرِيدُ كَتمَ الهَوَى حِينًا فَيمْنَعُني تَهتّكِي،كَيفَ لَا؟ وَالحُبّ فَضّاحُ.

يتمنى الشاعر اللقاء مع الحبيب بعد طول هجر خلف معاناة قاسية، حتى لكأن الشاعر ظن أن هذا الهجر سرمدي، ولا أمل للوصال، فطرق باب التمني مصرحا بقوله "فمنوا بلقياكم" لأن بقاءه مرهون بهذا اللقاء "وإلا فلا بقا" والتقدير "وإلا تمنوا فلا بقاء لي"،"فكأنما جزع من ذكر اللقاء في سياق النفي فحذفه، ثم قصر الممدود، وحذف الجار والمجرور فتضافر هذا الحذف كله للتعبير عن جزعه الشديد من عدم اللقاء، وجاء الشطر الثاني من البيت مصورا لهذا المعنى، فأدرك من دقة التعبير وبلاغته ما لم يكن ليدركه لو ذكر المحذوف ومد المقصور"[19].

ويأتي النص الثاني في سياق عاطفي، هو سياق الحب الصوفي، فالشاعر في حالة عشق وقد ظهرت عليه آثاره، وفضحته علاماته ولا سبيل لإنكارها، وفي هذا السياق المفعم بالحب الجارف الذي لا يمكن تكتمه يأتي حذف منع التصريح في سياق الاستفهام الانكاري "كيف

---

[17] -المصدر نفسه:ص67.

[18] -المصدر نفسه:ص218.

[19] -وهب رومية :مرجع سبق ذكره، ص 295

لا؟" والتقدير "كيف لا يمنعني؟" ليوائم سياق النص الذي يدور حول طبيعة الحب "والحب فضاح".